

## ❁ دور القيم في تحقيق الأمن العام

ك هـ أ / دليلة بوزغر  
أستاذة في التعليم الثانوي



المقدمة:

لقد اعتنى الإسلام بتحقيق الأمن الداخلي للمسلم اعتناء كبيرا وجعله من أولويات احتياجاته لذلك وجد من الفقهاء من أطلق دار الإسلام على الدار التي يتحقق فيها الأمن الشامل للمسلم، ودار الحرب على الدار التي لا يؤمن فيها المسلم، فقال أبو حنيفة: "إن المقصود من إضافة الدار إلى الإسلام والكفر ليس هو عين الإسلام والكفر وإنما المقصود هو الأمن والخوف، ومعناه أن الأمان إن كان للمسلمين فيها على الإطلاق، والخوف للكفرة على الإطلاق فهي دار الإسلام، وإن كان الأمان فيها للكفرة على الإطلاق، والخوف للمسلمين على الإطلاق فهي دار الكفرة والأحكام مبنية على الأمان والخوف لا على الإسلام والكفر"<sup>(1)</sup>، وهذا من خلال منظومة القيم الإسلامية التي تحكم تصرفات المسلم وتوجهها نحو الطريق الصحيح الذي يعود بالخير والنفع للفرد والمجتمع.

لذلك سأحاول بيان ماهية هذه القيم ثم دورها في تحقيق الأمن العام من خلال

الخطوات التالية:

أولا: مفهوم القيم

ثانيا: دور القيم في تحقيق الأمن العام

1- دور القيم الإيمانية في تحقيق الأمن العام

2- دور القيم الأخلاقية في تحقيق الأمن العام

## أولاً: مفهوم القيم

القيم جمع قيمة والقيمة هي ثبات الشيء ودوامه أو ما يحافظ عليه الإنسان ويستمر في مراعاته.

أو هي "مجموعة من المعايير والأحكام النابعة من تصورات أساسية عن الله والكون والحياة والإنسان وتتكون لدى الفرد المجتمع من خلال التفاعل مع المواقف والخبرات الحياتية المختلفة بحيث تمكنه من اختيار أهدافه وتوجهات حياته تتفق مع إمكانياته وتتجسد من خلال الاهتمامات والسلوك العملي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة (2).

## ثانياً: دور القيم في تحقيق الأمن العام

القيم الإسلامية تشكل الوجهة والبوصلة الدالة على التوجه، وتشحذ العقل لإبداع المناهج والبرامج ووضع الأوعية الشرعية لتتربص هذه القيم على حياة الناس، وتقويم واقعهم بها، والتخطيط لمستقبلهم على هديها، فهي منظومة شاملة لكل مناحي الحياة، وسأتناول منها القيم الإيمانية والأخلاقية.

### 1- دور القيم الإيمانية في تحقيق الأمن العام:

تقوم عقيدة التوحيد على ستة أركان، من أنكر واحدا منها لم يدخل في زمرة الموحدين؛ وهي الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، كما جاء في حديث جبريل - عليه السلام - عندما سأل ما الإيمان؟ فقال رسول الله ﷺ: "أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَبِلِقَائِهِ وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ..." (3).

والمتمعن في هذه الأركان يجد أنّ لها دورا كبيرا في تحقيق الأمن للكلية الخمس؛ ذلك أنّ الأمن هو جوهر الإيمان من وجه أول لأنّهما من جذر لغوي واحد مادته الألف والميم والنون، وعلى رغم اتفاق معظم أهل اللغة على أنّ الإيمان معناه التصديق، فإنّ ذلك لم يمنعهم من إثبات أنّ أحد معانيه الأخرى الأمن، من حيث أنّه يؤدي إلى الطمأنينة



والتحرر من مصادر الخوف والاضطرار<sup>(4)</sup>، بل إن ابن تيمية اعتبر أن الإيمان بمعنى الأمن حقيقة مؤكدة لأن الإيمان مأخوذ من الأمن الذي هو الطمأنينة، وبما أن لفظ الإقرار مأخوذ من قرّ يقرّ، فإن لفظ الإيمان مأخوذ من آمن يأمن، فالمؤمن دخل في الأمن كما أن المقرّ دخل في الإقرار<sup>(5)</sup>، ومن وجه ثان لأن أحد أسماء الله الحسنى "المؤمن" وهو الذي يجد الخلق في جواره الأمن، فمن آمن بالتوحيد دخل في أمن المستوجب للتوحيد...، ومن وجه ثالث فإن الأمن جوهر الإيمان لأن الله سبحانه مادام قد ارتضى للإنسانية عقيدة التوحيد، فقد رضي لها الأمن في ظل التوحيد لا في ظل ما وضعه البشر من مذاهب وفلسفات وإيديولوجيات...<sup>(6)</sup>، وذلك لإحاطة العقيدة الإسلامية بكل ما يحل مشكلات المجتمع الإنساني بتغيير داخل الإنسان بداية وإصلاحه وتغيير محيطه الاجتماعي وإصلاحه لأنّه - كما يقول مالك بن نبي: "إذا نظرنا إلى مشكلات المجتمع الإنساني وحاولنا التفكير لإيجاد حل لها، فإنّ الحل لن يخرج عن أحد طريقتين: فالمشكلة واحدة لكنها متصورة بمستويين أو في نطاقين مختلفين نطاق النفس الإنسانية من ناحية، ونطاق الزمن الاجتماعي من ناحية أخرى..."<sup>(7)</sup>؛ ذلك أن "الإيمان هو جوهر العقيدة الإسلامية والعمل الصالح هو مضمون الشريعة الإسلامية وثمة تكامل واتصال عضوي بين الإيمان والعمل الصالح على أنّ العقيدة هي أساس الشريعة أو أن الشريعة تستند في محدداتها إلى العقيدة، ومن دون هذه العقيدة لا تتحقق مقاصد الشريعة وتعاليمها، ولما كان بيان أثر الإيمان في إشاعة الأمن والاطمئنان موضوعا واسعا ومتشعبا وتتبع جميع النصوص من القرآن والسنة التي تبين ذلك يستوجب حيزا أكبر ومجالا أوسع، فسأقتصر على بيان كيف يتحقق ذلك للكليات الخمس باعتبارها الضروريات التي لا يتحقق الأمن حقيقة إلا بشمولها وذلك انطلاقا من حديث المصطفى الذي بين الارتباط الوثيق بين الإيمان وهذه الكليات فقال ﷺ: "لَا يَزْنِي الْعَبْدُ حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ - الْعَرَضُ وَالنَّسْلُ - وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ - الْمَالُ - وَلَا يَشْرَبُ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ - الْعَقْلُ - وَلَا يَقْتُلُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ"



مؤمن- النفس- " قَالَ عِكْرِمَةُ قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ كَيْفَ يُنَزَّعُ الْإِيمَانُ مِنْهُ قَالَ هَكَذَا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ثُمَّ أَخْرَجَهَا فَإِنْ تَابَ عَادَ إِلَيْهِ هَكَذَا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ"<sup>(8)</sup>, فقد بين المصطفى انتفاء وجود اعتداء على تلك الكليات مع وجود صفة الإيمان وبمفهوم المخالفة فوجود الإيمان يستلزم الأمن كما وضع ابن عباس بالتشابك الذي يعني الترابط الوثيق بين الإيمان والأمن لتلك الكليات - النفس والعقل والنسل والمال صراحة, والدين ضمناً لأنه أمر مسلم به لا دين بلا إيمان- وتفصيل ذلك يكون ببيان دور القيم الإيمانية في تحقيق الأمن للدين والنفس والعقل والنسل والمال.

### الأمن للدين:

للإيمان دور كبير في حفظ الدين ومن ثم الأمن عليه, لذلك جعله الشاطبي من أول الأمور التي ذكرها في بيانه لكيفية حفظه من جانب الوجود؛ فقال: "فأصول العبادات راجعة إلى حفظ الدين من جانب الوجود كالإيمان..."<sup>(9)</sup>, ويؤكد ذلك الريسوني بقوله: "فحفظ الدين مثلاً تحققه من جانب الوجود العقائد الأساسية..."<sup>(10)</sup>, ثم إن الإيمان بالله تعالى عقيدة وسلوك, لذلك يعرفه العلماء بأنه إقرار بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح, ويؤكد هذا المعنى الكثير من النصوص الشرعية, منها قوله ﷺ: "الإيمان بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان"<sup>(11)</sup>, فلإيمان المعتر ما اقترن بالسمع والطاعة وتطهر من الجحود والاستكبار عن أمر الله, وفي هذا يقول حنكة الميداني: "وهذا الإيمان هو الركن الأساسي الذي بدأ الإسلام به في تكوين شخصية المسلم لأنه الجذر الأول في بناء شخصيته, وهو العنصر الأساسي المحرك لعواطفه والموجه لإرادته, ومتى صحت عناصر الإيمان في الإنسان استقامت الأساسيات الكبرى لديه وكان أطوع للاستقامة على طريق الحق والخير والرشاد, وأقدر على التحكم بأنواع سلوكه, وضبطها فيما يدفع عنه الضرر والألم والمفسدة, العاجل من كل ذلك والآجل, وفيما يجلب له النفع واللذة والمصلحة



العاجل من كل ذلك والآجل، وهذا ما يطلبه منا الإسلام، وقد أدرك حديثا الباحثون من غير المسلمين قيمة العقائد في توجيه سلوك الإنسان فبدؤوا يتحدثون عنها تحت عنوان "أيديولوجيات" ولكنهم ما استطاعوا أن يصلوا إلى المستوى الذي وصل إليه الإسلام، إذ هو يبي في الفرد المسلم إيمانا لا يضارعه ولا يشأه أي عنصر اعتقادي (أيديولوجي) يحاولون غرسه في نفس الفرد من أفرادهم<sup>(12)</sup>، ولذلك كان واجبا على الدولة تثبيت الإيمان في قلوب أفرادها، يقول محمد سلام مذكور: "...وتثبيت الإيمان في قلوب أفراد الشعب هو أقرب الطرق للإصلاح حتى يكون أساسا لكل ما يكلف به المرء أو يقدم عليه، وكثيرا ما يقرن الله الإيمان بالعمل، ويجعل الإيمان أصل الصلاح وأساس النجاح، فالإيمان هو النور الذي يضيء للقلب طريقه في الحياة... والإيمان الكامل هو سكينة النفس القلقة وهداية القلوب الضالة فهو المعنى الفياض الذي تستمد منه الإرادة القوية سر قوتها لأنه الأساس لجميع الفضائل والدولة التي تؤسس على الإيمان فإنها تبقى أبد الدهر قوية الجانب شديدة البأس"<sup>(13)</sup>.

لذلك نجد المولى عز وجل يقرن بين توجيه أوامره ونواهيه لعباده بالنداء المشرف للمؤمنين "يأبها الذين آمنوا" ليحرك فيهم مفعول الإيمان فتكون الاستجابة لأوامر الله والاجتناب لنواهيه، وهذا ما تجسد بالفعل في سيرة المصطفى ﷺ الذي مكث ثلاثة عشر عاما في مكة يرسخ العقيدة الإسلامية السليمة في قلوب المؤمنين، فكان نتاج ذلك جيلا شعاره الدائم هو "سمعنا وأطعنا"؛ قال البوطي: "...فليست مهمته أن يلقي الناس كلمة الشهادة ثم يتركهم يرددونها بأفواههم وهم عاكفون على انحرافاتهم وبغيهم ومفاسدهم، صحيح أن المسلم يصدق عليه اسم المسلم إذا صدق بالشهادتين وأحلّ الحلال وحرم الحرام وصدق بالفرائض، ولكن ذلك غير كاف لأن التصديق بوحدانية الله ورسالة محمد ﷺ هو المفتاح والوسيلة لإقامة المجتمع الإنساني وتحقيق نظمته ومبادئه، وجعل الحاكمية في كل الأمور لله وحده، فحيثما وجد الإيمان بوحدانية الله تعالى ورسالة نبيه محمد ﷺ، لا بد



أن يتبعه الإيمان بحكمية الله تعالى وضرورة إتباع شريعته ودستوره<sup>(14)</sup>، وهذا ما جعل أبا بكر الصديق رضي الله عنه يعلن الحرب على الذين منعوا الزكاة ويعتبرهم من المرتدين مع أنهم كانوا يقولون "لا إله إلا الله" قائلين: "والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله لقاتلتهم على منعها"<sup>(15)</sup>، فلا يقبل من المسلم أن يقول "لا إله إلا الله" ثم لا يحقق المعنى الحقيقي لها "لا معبود بحق إلا الله"؛ ولهذا حارب الإسلام النفاق وجعله من أكبر الكبائر التي يستحق صاحبها - المنافق - الدرك الأسفل في النار، كما حلت اللعنة بإبليس والطرده من الجنة مع أنه كان يعلم أن الله وحده لا شريك له لما خالف أمر الله؛ قال محمد الغزالي: "لقد كان إبليس يعلم أن الله وحده لا شريك له، وكان يعلم أن مصيره إليه يوم يبعثون، بيد أنه لما صدر إليه الأمر أن أسجد، فقال - مستكبراً جاحداً -: لا...، عدّ كافراً ولم تشفع له معرفته بوحداية الله لأن المعرفة المجردة عن مبدأ الخضوع المطلق لرب العالمين لا وزن لها، والمعصية التي يقارنها هذا التمرد تخلع صاحبها عن الإيمان خلعا، والشعور بتلك الحقيقة هو الذي جعل أبا بكر يسوّي بين مانعي الزكاة وبين المرتدين برغم زعمهم أنهم مؤمنون، فقد صدر إليهم الأمر بإيتاء الزكاة، فعصوا وشهروا السلاح وآثروا القتال على دفع المال، فساق إليهم الخليفة الأول جيوش الإسلام تفلق هاماتهم وتلحقهم بإبليس الجاحد المستكبر وهذا الحكم يسري في جميع الأحوال المتشابهة..."<sup>(16)</sup>.

إذا تحقق الإيمان بهذا المعنى في قلب المؤمن كان مستقيماً على أوامر الله مبتعداً عن نواهيه، ومن ثم يقيم أركان الدين وقواعده ويتعد عن كل ما يوقع الخلل فيه، فيتحقق الأمن لدين الفطرة التي فطر الناس عليها دون تبديل أو تغيير ويأمن المؤمن دنيا وآخره وكل من يميل عن الحق والاستقامة فإنّ جزاءه الحرمان من الأمن في الدنيا والإلقاء في نار جهنم.



## الأمن للنفس:

إنَّ خالق النفس البشرية عليم خبير بخباياها وحاجاتها، وبالتالي فإنَّه لا يمكن أن تطمئن هذه النفس وتشعر بالأمن إلَّا في ظل منهج خالقها عقيدة وشريعة، فأما بالنسبة إلى العقيدة فإنَّ ذلك يتجلى من خلال التصديق الجازم بأركانها الستة - الإيمان بالله، والملائكة، والكتب، والرسل، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره -، والتي تشكل أسس التربية الروحية؛ قال القرضاوي: "...وبهذه التربية الروحية تتكون القلوب الحية أو الضمائر اليقظة التي هي أعظم رادع عن الشر وأكبر حافز على الخير وأقوى مدد لمكارم الأخلاق وأعظم مانع وراوغ عن الشر والزلات ومختلف الاعتداءات..."<sup>(17)</sup>، وقال أحمد يوسف: "...لذلك فإنَّ الناس ينقسمون بالنسبة إلى الأمن ثلاثة أقسام بحسب إيمانهم:

- 1- قسم يتمتع بالأمن الكامل والهداية التامة في الدارين وهؤلاء هم الذين اكتملت فيهم صفتا الإيمان والتوحيد الخالص.
- 2- وقسم حرمو الأمن والهداية، فليس لهم منها نصيب وهم المشركون.
- 3- وقسم كان لهم بعض الأمن وبعض الهداية على قدر ما لهم من إيمان وتوحيد..."<sup>(18)</sup>.

وقال الزحيلي: "أما السلام النفسي والروحي فلا يتحقق إلَّا بالإيمان، والإيمان هو إذعان النفس لليقين بالفرق بين الخير والشر، والفضيلة والرذيلة، والحق والباطل، والعدل والظلم، وبأنَّ على الوجود مسيطرا يرضى بالخير ولا يرضى بالشر، وهو الإله القادر الفرد الصمد الحي القيوم، خالق الكون وبارئ النسم، ومالك يوم الدين في المعاد، بهذا الإيمان تقوى العزيمة وترتفع المهمة وتسمو النفس البشرية بالأمن والطمأنينة وتتخلص من قيود الأهواء الجاحمة، والمطامع المسيطرة، وآفات التردد والحيرة، والارتباك، وبواعث القلق والاضطراب، ولا سيما عند نزول الشدائد، وظلمات الأحداث سواء في ذلك الأفراد والجماعات، ونظرا إلى أهمية السلام الروحي لسائر البشر كان أهم ما يحرص عليه المسلم



هو عافية النفس وعافية الضمير ونقاء القلب وصفاء السريرة، وهو الدعاء الذي كانت تدعو به عائشة إذا رأت ليلة القدر: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ" (19)، وذلك لأنَّ النفس البشرية لا تطمئن ولا تسكن إلا إذا اهتدت إلى الفطرة التي خلقت عليها - الإيمان بالله - (20)، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه لم يكن يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي ويصبح: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْ وَمِنْ خَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي قَالَ يَعْنِي الْخَسْفُ" (21)، أما كيف يتحقق ذلك؟ فيبانه كما يأتي:

### الإيمان بالله يحقق توحيد الهوية:

فالذي يلتزم بالتوحيد تتوحد وجهته وتتحدد غايته، فتتضح طريقه فيقبل على الله بكله يريد القرب منه ويتبع رضاه، فيتخلص من الصراع الذي يعاني منه غير المؤمن حيث تتنازع غايات شتى، وغرائز كثيرة فيظل حائراً أيها يرضي...؟!؛ قال القرضاوي: "وما أعظم الفرق بين رجلين أحدهما عرف الغاية، وعرف الطريق إليها فاطمأن واستراح، وآخر ضل يخط في عماية ويمشي إلى غير غاية، لا يدري إلام المسير؟ ولا إلى أين المصير... لقد عرف المؤمن الغاية فاستراح إليها وعرف الطريق فاطمأن به: إنه طريق الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، إنه الصراط المستقيم الذي يهدي إليه محمد، وبهذا الصراط المستقيم، كان المؤمن في أخلاقه وسلوكه مطمئناً غير قلق، ثابتاً غير متقلب واضحاً غير متردد، مستقيماً غير متعرج، بسيطاً غير معقد، لا يحيره تناقض الاتجاهات، ولا يعذبه تنازع الرغبات، ولا يحطم شخصيته الصراع الداخلي في نفسه: أيفعل أم يترك؟ أيفعل هذا أم ذاك؟ إن له مبادئ واضحة ومعايير ثابتة يرجع إليها في كل عمل وكل تصرف فتعطيه الإشارة، وتفتح له الطريق فيقدم، أو تضيء له النور الأحمر، فيعرف الخطر ويحجم وحسبه في ذلك كتاب ربه هادياً ورسوله



معلما...<sup>(22)</sup>، وقوله ﷺ وهو يغرس العقيدة السليمة في نفوس المؤمنين وخاصة الشباب منهم: "يا غلامُ إني أعلمُكَ كلماتٍ: احفظِ اللهَ يحفظَكَ، احفظِ اللهَ تجدهُ تُجاهَكَ، إذا سألتَ فاسألِ اللهَ، وإذا استعنتَ فاستعنْ باللهِ؛ وأعلمْ أنَّ الأُمَّةَ لو اجتمعتْ على أنْ يَنفَعوكَ بشيءٍ لَمْ يَنفَعوكَ إلَّا بشيءٍ قد كُتِبَ اللهُ لَكَ، وإنْ اجتمعوا على أنْ يَضُرُّوكَ بشيءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إلَّا بشيءٍ قد كُتِبَ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقلامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ"<sup>(23)</sup>، فالإنسان المؤمن يتوجه إلى الله تعالى وحده يطلب منه العطاء وبه يستغيث، ولا يسأل سواه ولا يستمد العون من غيره، وهو يردّد يوميا في صلاته أكثر من سبع عشرة مرة "إياك نعبد وإياك نستعين"<sup>(24)</sup>.

وهذا ما جسده الحبيب المصطفى وسائر الأنبياء من قبله؛ عندما تشتد بهم الشدائد لا يلجئون إلا لله تعالى، وكلهم خضوع واستسلام بقلوب راضية مطمئنة متيقنة بنصر الله؛ فعن أبي بكرٍ رضي الله عنه قال: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْعَارِ فَرَأَيْتُ آثَارَ الْمُشْرِكِينَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ رَفَعَ قَدَمَهُ رَأَى أَنَا قَالَ: "مَا ظَنُّكَ بِأَنْتَيْنِ اللَّهُ تَالِثُهُمَا"<sup>(25)</sup>.

فالإنسان لا تطمئن نفسه إلا إذا توحدت هويته، وهذا لا يكون إلّا في ظل عقيدة التوحيد التي تعطي التصور الحقيقي للحياة ودور الإنسان فيها. بما ينسجم مع فطرته، فيسلم أمره إلى خالقه فتؤمن نفسه<sup>(26)</sup>، بخلاف الذي تتعدد وجهاته فإنه لا يستقر على حال، قال

تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٩) (الزمر: 29)<sup>(27)</sup>؛ وقد بين الطبري أنّه مثل مضروب لبيان حال من يعبد آلهة شتى وحال الذي يعبد إلها واحدا، فالأول لا يستطيع أن يستقر به حال لأنّه موجه بكلياته إلى شركاء متشاكسون، أما الثاني: فلا تتنازع هذه التنوعات لأنّه عرف من يطيع ومن يعبد<sup>(28)</sup>؛ قال عبد الفتاح أبو زائدة: "وهنا تبرز قوة العقيدة عند المرء وعلى أساسها تبني حياته الروحية والعملية، فالعقيدة إذن عي الرباط الذي يربط كيان الإنسان ويوحد اتجاهه، وهي العقدة الصلبة التي تمنع انحلاله، وعقيدة



المؤمن توازن بين مطالب النفس المتشعبة، فهي مثلاً لا تمنع الاستمتاع بالطيبات من الرزق ولا تحرم زينة الله التي أخرج لعباده، بل هي تدفعه إلى إشباع النفس من هذا المسلك الحسن، ولا تحول بين الإنسان وبين عمله على تنظيم المجتمع وتقدمه...<sup>(29)</sup>.

فالمؤمن يثق في ربه ومن ثم يسلم كل أموره له سبحانه، فتطمئن نفسه وترتاح دون أن تؤثر عليه قلة الماديات أو فقدانها، وخير دليل على هذا واقع الحضارة الغربية التي وصلت إلى حد الترف المادي ولكن نسبة الأمراض النفسية المؤدية إلى تزايد الجرائم تختلف أنواعها في تزايد مستمر وخاصة في الدول الشيوعية، لذا فإن أغلب علماء النفس يعتقدون بأن: "أغلب حالات الأمراض النفسية تعود إلى فقدان الثقة في قدرة الله جهلاً، من طمس على بصيرتهم وأبصارهم، وأضلّهم الشيطان لضعف إيماني وخلل عقلي أفسد ذاكرتهم، وأخل بالتوازن السليم في خلاياهم ففقدت التصرف السليم لإصابة مركز تخزين المعلومات بتلف وحمول للقوة الذهنية فعجزت عن الإدراك الحسي الواعي الذي يتحكم في عملية التمييز، ولا ريب أن التقوى نور وعلم يهدي إلى الحق وإلى الطريق المستقيم ويخرج الناس إلى الهداية والفطرة التي خلق الله عباده عليها..."<sup>(30)</sup>.

2- الإيمان بالله يحرر من الخوف: الخوف ضد الأمن، ولا شيء في ميزان الإسلام يعدل عقيدة التوحيد في تحرير الفرد والأمة من مصادر الخوف والاضطراب، وهذا ما يقتضيه معنى لا إله إلا الله وأركان العقيدة الإسلامية - الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره-؛ "إن الإيمان يوصد في نفس المؤمن كل أبواب الخوف إلا الخوف من خالق البشر، فهو وحده يملك النفع والضرر والحياة والموت، ويقال: "من خاف الله، خافه كل شيء، ومن لم يخف الله خوفه الله من كل شيء"<sup>(31)</sup>، فالإيمان بالله: يجعل المؤمن لا يخشى إلا الله موقناً بأنه هو وحده الرازق، المعطي المانع، الحي، المميت، رب السماوات والأرض، فلا يخاف أحداً سواه ولا يخشى على رزق، ولا يخاف من مرض، ولا يخشى الموت...، ولا يخاف المرض لأنه يعلم أنه



ابتلاء من الله لعباده الذين يحبهم ليكفر عنهم سيئاتهم ويرفع من درجاتهم، وأن في أسوء الأحوال يؤدي إلى الموت الذي هو بالنسبة إلى المؤمن حق لا بد منه، وما هو إلا فاصل بين الحياة الدنيا والآخرة، لأن الدنيا كلها دار فناء وابتلاء، لذلك بين النبي ﷺ أنه لا يخاف من الموت إلا من كان يعيش في موت من سوء عمله، خشية أن يحاسبه الله على سوء ما قدم، فقال ﷺ: "مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ" (32)، أما المؤمن الذي حسن عمله فإنه لا يخشى الموت لأنه يوقن أن هذه النفس لا بد أن ترد إلى خالقها لتلقى الجزاء العظيم فالموت بالنسبة إلى المؤمن معناه لقاء الله، ولقاء محمد ﷺ وصحبه الأخيار الأبرار، ومعناه انتهاء ما فيه الإنسان من مكابدة، ومشاق، والانتقال إلى سعادة لا شقاء بعدها أبداً، ونعيم لا يزول، لأنه نال ذلك بحسن عمله في الحياة الدنيا....، ثم إن هذا الموت لا علاقة له بسلم أو حرب أو إقامة أو سفر، فتطمئن نفسه وهو يقوم بواجباته الدينية والدنيوية، ومع ذلك فإنه لا مانع من طلب الشفاء من الله والأخذ بالأسباب الموضوعية لذلك؛ وبالتالي فالمؤمن بعيد كل البعد عن اليأس المؤدي إلى الهم والغم والخوف والقلق، عملاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ

الْكَافِرُونَ﴾ (يوسف: 87) (33)، فالمؤمن بإيمانه بالله تعالى والالتجاء إليه والتوكل عليه والاستمسك بمنهجه سيجتاز جميع المحن بمشيئة الله ويشعر بعدها بقرب أكثر من الله وبسعة وهكذا فلا يأس مع إيمان ولا إيمان مع يأس بل رجاء في رحمة الله وعفوه ورضاه، وامتنال لأوامره واجتناب لنواهيه، وحتى الذين يضلون الطريق فيعصون ربه فباب التوبة مفتوح إلى يوم القيامة يقضي على كل مظاهر اليأس والقنوط التي قد تتسرب إلى النفس فتزرع فيها القلق والخوف والفرع، ثم إن الإيمان بالقضاء والقدر له أثر كبير في استقرار النفس الإنسانية، واطمئنانها فالمؤمن يعتقد بأن الله هو وحده النافع، الضار، فلا خوف من المستقبل المجهول لأن الله العدل الذي لا يظلم عنه أحد هو من يخطئه؛ فيكون من فوائد الإيمان بالقدر: الرضا واليقين، تكفير الذنوب، إعطاء الأجر الكبير، غنى النفس،

عدم الفرح والحزن، الشجاعة والإقدام، عدم الخوف من ضرر البشر، عدم الخوف من الموت، عدم الندم على ما فات، الاعتقاد أن الخير فيما اختاره الله...<sup>(34)</sup>، وفي كل هذه الأمور تحقيق للأمن النفسي، وابتعاد عن أسباب القلق، والاضطراب والخوف والفرع والاكتئاب...؛ قال حسن أيوب: "أما الإيمان بالقدر فهو الراحة النفسية للإنسان العامل المتحرك المنطلق حينما تعترضه عقبة لم تكن في الحسبان، أو يقف في طريقه أمر لم يخطر له على بال، إنه حينئذ يقول: هناك حكمة من أجلها غير القدر المسير أو أوقفه قليلاً، والإيمان بالقدر شحذ لهمة الكسول وتقوية لنفس الجبان حتى يؤمن أن الجبن لا يدفع شراً وأن الشجاعة لا تجلب خطراً ويكفي لأهمية الإيمان بالقدر شعور المرء بأنه -وهو يعمل- له ارتباط بالله وتعلق به في كل خطوة من خطواته فهو إذا ليس وحده ولن يكون كذلك أبداً"<sup>(35)</sup>، لذلك علمنا القرآن الكريم والسنة النبوية عدم الحسرة على ما فات والسخط على الحاضر والخوف من المستقبل بأن يقول: لو كان كذا لكان كذا؛ كما يفعل بعض المنافقين ومرضى القلوب، بل يقول دائماً "قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ إِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ"<sup>(36)</sup>، ولا يتحسر على ما فات، فَإِنَّ لَوْ تَفَتَّحَ عَمَلُ الشَّيْطَانِ كَمَا أَخْبَرَهُ<sup>(37)</sup> ويتذكر المؤمن أن الله قد ضمن له كل شيء قبل أن يولد، كما جاء في الحديث القدسي: "... ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤَمَّرُ بِكُتُبِ أَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، يَكْتُبُ رِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَعَمَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ..."<sup>(38)</sup>، فيكون موقف المؤمن من القدر الاستخارة قبل وقوع الفعل والرضى بعد وقوعه.

وبذلك يكون المؤمن بالقضاء والقدر متحلياً بالطمأنينة والرضا بالصبر والثبات والتوكل والأخذ بالأسباب<sup>(39)</sup>.... وهذه الأمور إذا تمكنت من قلب المؤمن جعلته يعيش في عالم رفيع يشعر فيه بالراحة والاطمئنان في جميع أحواله كما قال ﷺ: "عَجَباً لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ"<sup>(40)</sup>.



والإيمان باليوم الآخر أيضا له دور كبير في طمأنينة النفس خاصة عند الخوف من أنواع المخاطر والصعاب، لأن الله - سبحانه وتعالى - يعلم حقيقة النفس البشرية وأنها قد تحجم أمام الصعاب والمخاطر وقد تياس فيعاجلها الله باستجاشتها وطمأنتها في آن واحد، ويأخذ بيدها في كل موقف من مواقف الحياة لتجتازه بعقيدة إيمانية ثابتة ويقين لا يتزعزع بنصرة الحق سبحانه وتعالى، وعند حدوث ظلم أو اعتداء من الآخرين، لا يحزن لأنه يعلم أن هناك يوما تعرض فيه الأعمال ويحاسب الإنسان على كل صغيرة وعند الفقر أو إصابته بمرض أو مصيبة، أو عاهة أو غيرها... ما عليه إلا بالصبر والرضا وسيعوضه الله خيرا في الآخرة، لذلك كان الخوف من اليوم الآخر مانعا من الوقوع في الجرائم والمعاصي بصفة عامة ودافعا إلى التوبة وتسليم النفس للعقاب الديني قبل الأخروي كما حدث في قصة الغامدية وقصة الأسلمي وما عز وغيرهم<sup>(41)</sup>، ولأجل ذلك كان يغرس النبي ﷺ هذا الأمر في نفوس المؤمنين بقوله: "إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَإِنَّهُ يَأْتِينِي الْخَصْمُ فَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَرْبَعُ مِنْ بَعْضٍ فَأَحْسِبُ أَنَّهُ صَدَقَ فَأَقْضِي لَهُ بِذَلِكَ فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ مُسْلِمٍ فَإِنَّمَا هِيَ قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ فَلْيَأْخُذْهَا أَوْ فَلْيَتْرُكْهَا" (42) وهذه الخاصية من أعظم الفوارق بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية<sup>(43)</sup>.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فتوحيد الله في الإلوهية والربوبية والأسماء والصفات يخلص النفس الإنسانية من جميع الأمراض النفسية من حسد وكبر وبخل وشح و.... غيرها، فتتخلص مما تجر إليه من هموم وغمم، وفي الوقت نفسه يقضي على ما يتسبب في الاعتداء على الغير، فيؤمن الإنسان نفسيا لأن قلبه سيكون سليما، ويؤمن غيره من شرور النفس البشرية.

هذا من الناحية النفسية، أما كيف يتحقق الأمن للذات البشرية عن طريق العقيدة الإسلامية؟ فهذا يظهر من خلال آثارها على السلوك حيث يستحضر المؤمن رقابة الله وعقابه وحسابه يوم الحساب فلا يعتدي على النفس البشرية بأي نوع من أنواع الاعتداء

لأنه يعلم أن كل شيء مسجل عليه وإن سلم من العقاب الدنيوي فإنه لا يستطيع الإفلات من العقاب الأخروي، لذلك حذر الله تحذيراً شديداً من الاعتداء على النفس البشرية بغير حق واعتبر أن من قتل نفساً كأنما قتل الناس جميعاً ومن أحيها كأنما أحيها الناس جميعاً فقال ﷺ: ﴿مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة: 32) <sup>(44)</sup>، وقال فيمن قتل نفساً متعمداً: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَتْهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (١٣) (المائدة: 93) <sup>(45)</sup>، وقد قصّ علينا القرآن الكريم كيف حدثت أول جريمة على وجه الأرض - قصة قابيل وهابيل - كنموذجين للنفس السوية التي تستحضر مخافة الله فلا تعتدي ولا تظلم - هابيل - والنفس المريضة بالحق والحسد والتهور وغيرها فتغفل رقابة الله لها فتقع في الاعتداء والظلم؛ قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٢٧) لِيَنْ بَسَطَتِ إِلَى يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٨) (المائدة: 27-28) <sup>(46)</sup>؛ قال القرطبي: "تضمنت هذه الآية البيان عن حال الحاسد، حتى أنه قد يحمله حسده على إهلاك نفسه بقتل أقرب الناس إليه قرابة، وأمس به رحماً، وأولاهم بالحنو عليه ودفع الأذى عنه" <sup>(47)</sup>؛ حيث يكشف التحليل القرآني للقصة الخطيرة أن الشخصية الإنسانية مسالمة إذا تحررت من عناصر الحسد وحب الذات والتهور... وغيرها من الآفات التي تغطي الفطرة الإنسانية... وبناء على ذلك نصل إلى أن بناء سلم إنساني شامل وحقيقي يمر بالضرورة عبر تحقيق نفسية سوية تتخلص بداخلها عوامل الأحقاد والكراهية والتهور... وتتشبع بالقيم والمبادئ، وقد صنف القرآن الكريم النفوس البشرية ثلاثة أنواع هي: الأمانة بالسوء - اللؤامة - المطمئنة وعلى



ضوء طبيعة هذه النفس أو تلك تنبثق أفعال وسلوكيات تخدم الأمن أو تعرضه للخطر والزوال، تساهم في أفعال الخير أو تكون معرقة لها ولا شك أن النفس المؤهلة لتحقيق السلم الإنساني هي النفس التي ترجع إلى الله بالتوبة والاستغفار والذكر والخشية لترتقي من نفس أمارة بالسوء إلى نفس لوامة إلى نفس مطمئنة، فتكون بذلك الوحيدة المؤهلة لتحقيق السلم والازدهار... (48).

وبكل هذه الأمور يعيش المؤمن آمناً مطمئناً لأن إيمانه هو مصدر ذلك كله؛ فالشرك بالله يوجب الرعب للكافرين والإيمان بالله بآركانه وشروطه يحقق النصر والأمن للمؤمنين (49).

**الأمن للعقل:** كرم الله الإنسان بالعقل وميزه به على سائر المخلوقات، لذلك كان حفظه مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية وهذا يدل على أهميته ومزنته؛ ذلك أن العقل الإنساني أداة الإدراك والفهم والنظر والتمييز والموازنة بين الخير والشر والنفع والضرر وهو مناط التكليف بخطاب الشرع طلباً أو كفاً أو تخيراً أو وضعاً كما أنه أداة الاجتهاد والتجديد إلى يوم القيامة بعد انقطاع الوحي فتكرر ذكره في القرآن الكريم باسمه وأفعاله تأكيداً على أهميته، وكان تحقيق الأمن له واجباً، لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب وذلك من خلال ما يأتي:

**1- حماية العقل بالوحي الإلهي:** أنعم الله على الإنسان بالعقل وزوده بالوحي ليكون عاصماً له من الزلل في هذه الحياة التي يتعرض فيها إلى ضغوط كثيرة من شهواته ونزواته ومطامعه ورغباته، لذلك فإن الله جعل حجته على الناس هي الوحي والرسالة، لأن الله يعلم أن العقل وحده يضلل والفطرة وحدها تنحرف وأن لا عاصم لعقل أو فطرة إلا أن يكون الوحي هو الرائد المهادي وهو النور والبصيرة، والواقع يشهد أن الحياة الإنسانية التي قامت أنظمتها على المذاهب الفلسفية أو العلم هي أبأس حياة يشقى فيها الإنسان مهما فتحت له أبواب كل شيء، ومهما تضاعف الإنتاج والإيراد ومهما تيسرت

أسباب الحياة ووسائل الراحة فيها على أوسع نطاق، ومن هنا كان الوحي حماية للعقل وأمناً له بدل التيه في الفلسفات المادية، وهذا ما جعل الشاطبي يقول بتقديم النقل على العقل مطلقاً: "يتقدم النقل فيكون متبوعاً ويتأخر العقل فيكون تابعاً، فلا يسرح العقل في مجال النظر إلاّ بقدر ما يسرحه النقل" (50)، ويعلّل ذلك بقوله: "لو جاز للعقل تخطّي مأخذ النقل، لم يكن للحدّ الذي حدّه النقل فائدة، لأنّ الفرض أنّه حدّ له حدّاً فإذا جاز تعديبه صار الحدّ غير مفيد وذلك في الشريعة باطل، فما أدى إليه مثله" (51).

## 2- دعوة العقل إلى التفكير في الآفاق: إحاطة العقل بالوحي لا تعني الحجر عليه،

بل إنّ الإسلام يدعو إلى التفكير والتدبر في مخلوقات الله تعالى ليحصل له الانسجام بين ما يعتقد وما سيصل إليه التفكير السليم المجرد عن الهوى والتعصب المذموم، وهذا أعظم شيء يحقق الأمن الفكري للعقل؛ فبدل أن يتخذ الإنسان بعض مخلوقات الله تعالى آلهة يخافها ويقدسها - كما فعل السابقون - يأتي إعمال العقل موضحاً للحقائق ومبطلاً لكل تلك الأوهام والأباطيل؛ حيث حكا القرآن الكريم قصة التفكير في الكون المؤدي إلى الإيمان

بالخالق: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ (٧٥)

فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى

الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ

﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنْقُومُ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا

تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ خَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ

الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ (الأنعام: 75 - 79) (52)، قال محمد المبارك: إنّ الطريق التي ألهم الله

إبراهيم أن يسلكها هي طريق البشرية في تقدمها، فلقد أنزل العقل الطبيعة من على عرشها

إلى مكانها الحقيقي، إنه الرأي الذي أراه الله إبراهيم حتى انتهى به إلى اليقين عن طريق



الانتقال من فرضية إلى أخرى، وهذه حجة عامة لا تختص بنبي يوحى إليه، وهذه الدرجات التي يرتفع بها أهل العلم والفكر ...<sup>(53)</sup>.

لذلك وردت نصوص كثيرة تحت على التفكير والتدبر بل ذم القرآن الكريم الذين لا يتفكرون ولا يعملون عقولهم، ومن هنا يكون التفكير في الإسلام واجبا وفريضة يتحقق به الأمن للعقل فيرتقي التفكير الإنساني من مجال الخرافات والأساطير إلى التأمل العلمي والمشاهد الصحيحة ليصل بذلك إلى الحقيقة الخالدة.

### 3- مخاطبته بما هو أهل له: يخاطب الإسلام العقل بما يؤدي إلى إشباع

تطلعاته ويوجب عن تساؤلاته مما يضمن الأمن عليه من الزين والته فيما لا يستطيع استيعابه، لذلك كان مجال إعمال العقل هو عالم الشهادة وليس عالم الغيب ولا يعني ذلك تقيده ولا الحجر عليه ولكنه عصمة له من الترددي في مهاوي الضلالة وإبعاد له عن معالجة أبحاث لم تتوفر له وسائل بحثها ولا تحمل قوتها؛ كما حدث مع سيدنا موسى عليه السلام

حين طلب رؤية الله؛ فحكى القرآن الكريم ذلك قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ ارْجِعْ أُنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَنِي فَلَمَّا تَبَيَّنَ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ ثَبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ (الأعراف: 143)<sup>(54)</sup>، فالعقل

البشري لا يستوعب رؤية الذات الإلهية لذلك نهي النبي عن التفكير فيها وأمر بالتفكير في مخلوقاته حيث قال عليه السلام: "تَفَكَّرُوا فِي الْخَلْقِ وَلَا تَفَكَّرُوا فِي الْخَالِقِ فَإِنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ قَدْرَهُ"<sup>(55)</sup>، وقال رسول الله: "لَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يُقَالَ: هَذَا، خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهُ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ"<sup>(56)</sup>، وذلك حتى لا يخوض العقل في مجال لا يطيقه ولا تستوعبه قدرته الإدراكية فيفضل صاحبه ويتعد عن الصراط المستقيم.



وبهذه الأمور يكون العقل في أمن وأمان من الوقوع في الانحراف الفكري الذي يؤدي بدوره إلى الانحراف السلوكي - حيث إن السلوك يكون نابعا منه ومتأثرا به - مادام مستنيرا بالعقيدة الإسلامية الصحيحة التي ترسم له الإطار الذي يعمل فيه دون إفراط ولا تفريط. وفي الوقت نفسه تمنعه من الوقوع في الأمور التي تضر بالعقل وتعطله عن القيام بواجب التفكير والتدبر كشرب الخمر وغيرها باستحضار رقابة الله عز وجل ومفعول الإيمان بالله واليوم الآخر وأثره في استقامة السلوك وفق منهج الله.

**الأمن للعرض والنسل والنسب:** من مقاصد الشريعة الإسلامية حفظ العرض والنسل والنسب، وقد شرعت لذلك عدة أحكام عملية تؤدي إلى الأمن عليها وفي الوقت نفسه ربطت هذه الأحكام بالعقيدة الإسلامية باعتبارها السلطان الأول على النفس البشرية واستقامة سلوكها، فلا يكون الخوف على هذه الأمور إلا عند ضعف الوازع الديني بسبب ضعف الإيمان، لذلك يقول ﷺ: "...لَا يَزْنِي الْعَبْدُ حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ..."، فصفة الإيمان التي تقتضي خوف الله واستحضار رقبته في كل حال تتنافى مع وقوع الشخص في جريمة الزنى فترتفع عن صاحبها، ذلك أن المرء عندما يؤمن بالله وماله من صفات السمع والبصر... تتولد لديه رقابة ذاتية أهم بكثير من رقابة الغير، وعندما يؤمن بالملائكة يعلم أن كل صغير وكبير مسجل عليه فيستعد عن الجرائم وعندما يؤمن باليوم الآخر يعرف أن هناك يوما فيه حساب وعقاب لا يمكن الإفلات منه لذا نجد الربط بين هذه الأمور والأمور المراد فعلها والأمور المراد تركها في كثير من النصوص الشرعية لما في ذلك من أثر على النفس، وهذا ما جعل تلك المرأة التي غاب عنها زوجها زمن عمر بن الخطاب تصرح قائلة:

وأرقي أن لا خليل ألاعبه

تطاول هذا الليل تسري كواكبه

إلى أن قالت:

لحرك من هذا السرير جوانبه

فو الله لولا الله لاشيء غيره

بأنفسنا لا يفتر الدهر كاتبه (57)

ولكنني أخشى رقبيا موكلا



ففي هذا المثال أثر واضح للإيمان بالله واليوم الآخر في المنع من جريمة الزنى خشية العقاب الأخروي.

كما أن الرغبة في الفوز بالجنة أثرا كبيرا في اجتناب ما نهى الله عنه وفعل ما أمر به لذلك ربطت به عدة أمور فمن أخذ غير نسبه الحقيقي حرمت عليه الجنة حيث قال ﷺ: "مَنْ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُ فَالْجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ" (58)، وقال ﷺ: "أَيُّمَا امْرَأَةٍ ادْخَلْتَ عَلَى قَوْمٍ مِنْ لَيْسَ مِنْهُمْ فَلَيْسَتْ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ وَلَنْ يُدْخِلَهَا اللَّهُ جَنَّتَهُ وَأَيُّمَا رَجُلٍ جَحَدَ وَلَدَهُ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ احْتَجَبَ اللَّهُ مِنْهُ وَفَضَحَهُ عَلَى رُءُوسِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ" (59).

ولا شك أن هذه الأحاديث لها أثر كبير في نفس المؤمن مما يجعله يحفظ نسبه ولا يأخذ نسب غيره ولا يعتدي على أعراض غيره لاستحضاره مخافة الله وعقابه الأخروي؛ وخير مثال على ذلك؛ قصة يوسف مع امرأة العزيز حين قال لها: "مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ" (60) وقصة الرجل الذي أراد الاعتداء على ابنة عمه بعد أن قُيِّأت له جميع الظروف ولكن خوف الله رده عن ذلك لما ذكرته بقولها: "اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفْضُ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ" (61)، وبهذا يأمن الناس على أنسابهم وأعراضهم.

**الأمن للمال:** المال في الإسلام له قيمة عظيمة، لذلك اعتنى به كثيرا من حيث مصدره وكيفية إنفاقه وربط ذلك بأحكام عملية وأخلاقية ومبادئ ترجع إلى العقيدة الإسلامية مما يستوجب الالتزام بها في جميع الأحوال، وهذا أمر يتميز به النظام الاقتصادي الإسلامي عن سائر الأنظمة الوضعية الأخرى؛ قال محمد باقر الصدر: "إن العقيدة التي هي مصدر التموين الروحي للمذهب الاقتصادي والتي يرتبط بها الاقتصاد الإسلامي تدفع المسلم إلى التكيف وفقا لهذا المذهب بوصفه نابعا من تلك العقيدة وتضفي على المذهب طابعا إيمانيا وقيمة ذاتية، بقطع النظر عن نوعية النتائج الموضوعية التي سيسجلها في مجال التطبيق العملي وتخلق في نفس المسلم شعورا بالاطمئنان النفسي في ظل المذهب، باعتباره



منبثقا من تلك العقيدة التي يدين بها، ففوة ضمان التنفيذ والطابع الإيماني والروحي، والاطمئنان النفسي كل تلك الخصائص يتميز بها الاقتصاد الإسلامي عن طريق العقيدة الإسلامية الأساسية التي يركز عليها ويتكون ضمن إطارها العام...<sup>(62)</sup>، حيث إن مقتضى هذه العقيدة أن الإنسان من أفضل مخلوقات الله تعالى خلقه لعبادته بمعناها الواسع، وهذا يقتضي منه الخضوع الاختياري والمطلق لله رب العالمين، وهذا في كل أحواله بما فيها عند تعامله مع المال اكتسابا وإنفاقا وبالتالي يلتزم بجميع الأحكام الشرعية المنظمة للنشاط الاقتصادي بنفس راضية ومطمئنة ودون حاجة إلى رقابة أحد تحت مفعول الوازع الديني الذي هو أقوى ضابط لسلوك الإنسان.

لذلك قصّ علينا القرآن الكريم عاقبة من يتمسك بعقيدة التوحيد وأثر ذلك في الأمن على ماله وعاقبة من يشرك بالله فيمحق الله بركة ماله من خلال قصة صاحبي الجنين؛ فقال تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنِينَ مِنْ أَعْتَبٍ وَحَقَّقْنَاهُمْ بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ۖ ﴿٣٢﴾ كَلَّمَا الْجَنِينِ ءَأَنْتَ أَكْلَهَا وَلَمْ تَطْلُمِ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَرْنَا خِلْلَهُمَا نَهْرًا ۖ ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ۖ ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ۖ ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ۖ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ۖ ﴿٣٧﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ۖ ﴿٣٨﴾﴾ (الكهف: 32-38) و<sup>(63)</sup>، فكان جزاء الإشراف بالله تعالى: "وأحيط بشمره فأصبح يُقَلَّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَتَّفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا"<sup>(64)</sup>، فللعقيدة التوحيد أثر بالغ في الأمن للمال وذلك من خلال ما يأتي:



1- الشعور بالمسؤولية تجاه هذا المال: فالمؤمن يستحضر أنه مسؤول أمام الله على ماله يوم الحساب من حيث مصدره وكيفية إنفاقه لقوله ﷺ: "لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ وَعَنْ عِلْمِهِ مَا فَعَلَ بِهِ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ" (65)، وهذا بدوره يجعله يحرص على اكتساب المال من الطرق المشروعة مراعيًا في ذلك أوامر الله ونواهيه فلا يسرق ولا يرتشي ولا يغتصب ولا يراي... ويؤدي ما عليه من حقوق عند إنفاقه ويتعدى عن الإسراف، والتبذير، والإنفاق في المحرمات، وكل ما نهى الله عنه... فيتحقق ما يسمى بالأمن الغذائي، وهذا انطلاقًا من إيمانه بالله واليوم الآخر والملائكة الذين يسجلون عليه كل صغيرة وكبيرة، ولذلك يربط الله تعالى في خطابه بين المال والإيمان بالله واليوم الآخر ليحرك مفعولهما في نفس المؤمن فيستحضر سؤال الله له عن ماله، فيلتزم بأوامره ويتعدى عن نواهيه ويقول ﷺ: "...لَا يَسْرِقُ السَّارِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ..."، ويقول تعالى في التحذير من عاقبة الاكتناز في

الآخرة قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٣٤﴾ يَوْمَ يُخْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فُتُكُوتُ بِهَا جَبَاهُهُمْ وَجُوهُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ٣٥﴾ (التوبة: 34 - 35) (66).

وفي ذلك تحقيق للأمن على المال نفسه، وفي الوقت نفسه فيه منع لما يهدد الأمن في غالب الأحيان بسبب محاولة تحصيل المال بكل الطرق وإن كانت غير مشروعة واستخدامه فيما يفسد الفرد والمجتمع فيغيب الأمن والأمان وخير مثال على ذلك الأزمة الاقتصادية التي حدثت بسبب مخالفة شرع الله عن طريق التعامل بالربا وغيره من المعاملات القائمة على أساس الظلم والاستغلال للغير؛ فقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ

وَأِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ زُؤُسٌ وَأَمْوَالُكُمْ لَا تُطْلَمُونَ وَلَا تَظْلَمُونَ ﴿٢٧٦﴾ (البقرة: 278-279) (67)، فقد أعلن الله ورسوله الحرب - بما تحمله هذه الكلمة من خوف وفزع عند إطلاقها - على المتعاملين بالربا وهذا ما نراه جليا واضحا على المستوى العالمي حيث ساد خوف شديد من نتائج تلك الأزمة.

فإذا كانت الأنظمة الوضعية يقوم فيها الاقتصاد على أساس المصلحة والأنانية والمنافسة الوحشية تحت شعار الغاية تبرر الوسيلة، فإن الاقتصاد الإسلامي تحكمه معايير أخلاقية منبثقة من عقيدة التوحيد حيث لا يمكن التنازل عنها مهما كانت الأرباح أو الخسائر؛ كمنع الغش والاحتكار والغرر والتطفيف في الميزان و... غيرها من التصرفات اللا أخلاقية التي تؤدي إلى نشر الخلاف والتراخ بين المتعاملين وانعدام الثقة فيترعزع الأمن بينهم، ففي هذه التربية الاقتصادية دعوة إلى الأمن الإنساني للفرد والمجتمع... وهذه التربية الاقتصادية يمكن أن تكون هدفا فرعيا لهدف أكبر وهو العبودية لله أو الاستخلاف كما يمكن أن تكون هدفا أساسيا يتفرع عنه عدد من الأهداف الفرعية الفردية والاجتماعية، يقول عبد الكريم زيدان: "ويراعي النظام الاقتصادي معاني الأخلاق الفاضلة فلا يجوز لإنسان أن يهدر هذه المعاني أو يتخطى حدودها في أي جانب من جوانب نشاطه الاقتصادي لأن المجتمع الإسلامي يقوم على معاني الأخلاق كالحيمة والتعاون النظيف قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (المائدة: 2) (68)، فلا حسد ولا خصام ولا حقد ولا بغضاء ولا كذب ولا غش ولا خداع ولا غدر، وإذا ما صار في يد الإنسان مال لم يجوز أن ينفقه في الفحش والرذيلة ومتع الجسد المحرمة، بل عليه أن ينفقه في السبل الحلال وتنفيس الكرب عن المكروب والمحتاجين، وإذا أراد أن ينمي الإنسان أمواله فلا يجوز له أن ينميها بما يفسد الأخلاق ويقطع روابط المودة بين أبناء المجتمع كفتح حانات الخمر والفحش والإقراض بالربا. وهذه المراعاة لمعاني الأخلاق منها ما هو متروك لإيمان الإنسان ووجدانه كالتزامه



بالصدق والوفاء ومنها ما تتدخل الدولة في إلزام الأفراد به وإجبارهم عليه مثل منعه الربا وفتح محلات الفحش والخمر (69).

لذلك أكد المولى ﷺ أنه لن يتحقق الأمن الاقتصادي إلا في ظل عقيدة التوحيد فيقول: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦] (70)، وقال تعالى أيضا: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (النحل: ١١٢) (71).

- اعتقاد المسلم بأن المال مال الله وهو مستخلف فيه: ينطلق المؤمن في تعامله مع المال اكتسابا وإنفاقا واستغلالا على أساس أنه مال الله وهو مستخلف فيه وأن ملكيته له ليست ملكية حقيقية بدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُّسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾ (النور: ٣٣) (72)، وقوله أيضا: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُّسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾ (الحديد: ٧) (73)؛ قال القرطبي: - في قوله تعالى: ﴿مِمَّا جَعَلَكُمْ مُّسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾ دليل على أن أصل الملك لله سبحانه وأن العبد ليس له فيه إلا التصرف الذي يرضي الله، فيثبته على ذلك بالجنة... وهذا يدل على أنها ليست بأموالكم في الحقيقة، وما أنتم فيها إلا بمنزلة النواب والوكلاء... (74) وأكد الزمخشري هذا المعنى؛ فقال: "الأموال التي في أيديكم إنما هي أموال الله يخلقها وإنشأها لها وإنما مولاكم إياها وحولكم الاستمتاع بها وجعلكم خلفاء في التصرف فيها يخلقها وإنشأها لها فليست هي بأموالكم في الحقيقة، وما أنتم فيها إلا بمنزلة الوكلاء والنواب" (75).

وهذا الاعتقاد يجعل المسلم لا يتصرف في المال إلا وفق أوامر مالكة الأصلي، جاعلا إياه وسيلة يبتغي بها رضوان الله وليس غاية يتسلط بها على رقاب الناس، وهذا ما أكدت عليه التوجيهات النبوية في بيان المفهوم الحقيقي للملكية المال، فيقول ﷺ: "يَقُولُ

ابْنُ آدَمَ مَالِي مَالِي وَهَلْ لَكَ يَا ابْنُ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَقْنَيْتَ أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ... (76) ويقول أيضا: "أَيُّكُمْ مَالٌ وَارِثُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ قَالَ: فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ وَمَالٌ وَارِثُهُ مَا أَخَّرَ" (77).

وبهذه العقيدة تعالج مشكلة حب المال بما يجعلها في إطارها المتوازن والمعتدل؛ فلا مانع من كسب المال والتمتع به لكن مع اعتباره وسيلة للعبور إلى الآخرة، لذلك يزاوج القرآن الكريم في خطابه بين أسلوب الوعيد والترغيب عند الكلام على المال، فيقول تعالى: ﴿وَبِئْسَ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُغْزَةٌ﴾ (الهمزة: 1-9) (78)، ويقول في موضع آخر: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ (٤٦) (الكهف: 46) (79).

وبهذا المفهوم للمال يحرص المسلم على التصرف في ماله بما يجعله أحد أسباب الفوز بالجنة وليس -والعياذ بالله طريقا إلى النار- كحال الذين حكى عنهم القرآن الكريم ليكونوا عبرة لغيرهم أمثال قارون والأمم المترفة. وهذا بدوره يحقق الأمن للمال في ذاته - كما سبق بيانه -، ويمنع أن يكون المال وسيلة تهديد لأمن الأفراد والمجتمعات وذلك وفق نظرية منع التعسف في استعمال الحق (80).

فتكون عقيدة التوحيد هي لب الإسلام وأساسه ومنها تنبثق سائر نظم وأحكامه وأوامره ونواهيه... والتي يؤدي الاعتقاد بها إلى تحقيق الأمن الشامل للدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال في الدنيا والآخرة مصداقا لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٨٢) (الأنعام: 82) (81).



## 2- دور القيم الأخلاقية في تحقيق الأمن العام

إن الدين الإسلامي غايته هي إتمام مكارم الأخلاق كما عبّر الحبيب المصطفى ﷺ: "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ" (82)، بل هو حسن الخلق ذاته، وهذا يعني أن حسن الخلق هو ركنه العظيم الذي لا قوام له من دونه لذلك أعطاه الإسلام مكانة رفيعة ودرجة عالية فقال ﷺ: "مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ" (83)، وقال ﷺ: "إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبُكُمْ مِنِّي فِي الْآخِرَةِ مَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا..." (84)، وقال رسول الله ﷺ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ، وَالْأَهْوَاءِ" (85) وقد تميز ﷺ بالخلق الرفيع فمدحه الله ﷻ من فوق سبع سموات.

وقد ارتبطت الأخلاق بالجانب الإيماني والعبادات والمعاملات وكل مناحي الحياة لما لها من أهمية في تنظيم الحياة يقول الفيلسوف بنتام: "الأخلاق علم غايته تنظيم أعمال الإنسان للوصول إلى الدرجة الممكنة من السعادة وهذه الغاية هي التي ينبغي أن تكون لعلم القانون ولكن هذان الفنان، أو هذان العلمان يختلفان في عموم الموضوع وخصوصه، فالأعمال كلها وبعمومها تدخل في دائرة علم الأخلاق فهو مرشد يأخذ بيد المرء في جميع أحوال الحياة وكل علامات المرء مع غيره، وليس هذا من الممكنات في علم القانون، وإن كان ممكنا وجب الابتعاد عنه لأنه لا يجوز أن يكون للقانون سلطة مستمرة في سير الأفراد الشخصي، فعلم الأخلاق يقضي على الإنسان بفعل كل ما هو فيه منفعة للأمة ومنفعة للشخص ولكن كثيرا من الأفعال النافعة للأمة لا يمكن أن يأمر بها القانون..." (86). وهذا يدل على أن سلطة الأخلاق على نفس الإنسان أشد من سلطة القانون؛ إذ من السهل جدا أن يتملص الشخص من عقاب القانون الذي لا يرافقه في كل الأحيان، ولكن من الصعب أن يتنازل على أخلاقه ومبادئه المغروسة في أعماقه. إن قيام المجتمعات على الأخلاق الكريمة ضرورة اجتماعية لا يمكن الاستغناء عنها لأنها الطريق إلى تحقيق الأمن والسلام للفرد ولاستمرار علاقاته مع بني مجتمعه الذين يعيش معهم؛ فمع نفسه من



خلال رضاه عليها كونها اتصفت بأحسن الأخلاق التي تشعره بالراحة والاطمئنان وهذا بدوره يجعله محل ثقة واحترام بين الآخرين، فيسود الأمن والأمان، وعلى العكس من ذلك يسود الخوف والاضطراب وانعدام الأمن إذا سادت مساوئ الأخلاق؛ قال حينئذ الميواني: "...ومنى فقدت الأخلاق التي هي الوسيط الذي لا بد منه لانسجام الإنسان مع أخيه الإنسان تفكك أفراد المجتمع وتصارعوا وتناهبوا مصالحهم ثم أدى بهم ذلك إلى الانهيار ثم إلى الدمار" (87).

ذلك لأن للأخلاق أهمية كبيرة في التأثير في سلوك الإنسان وما يصدر عنه؛ كما قال الغزالي: "فإن كل صفة تظهر في القلب، يفيض أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك إلا على وفقها لا محالة" (88) وهذا يعني: "أن صلاح أفعال الإنسان بصلاح أخلاقه لأن الفرع بأصله، إذا صلح الأصل صلح الفرع وإذا فسد الأصل فسد الفرع، والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا، ولهذا كان النهج السليم في إصلاح الناس وتقويم سلوكهم وتيسير سبل الحياة الطيبة لهم أن يبدأ المصلحون بإصلاح النفوس وتركيبتها وغرس معالي الأخلاق الجيدة فيها، ولهذا أكد الإسلام على صلاح النفوس وبين أن تغيير أحوال الناس من سعادة وشقاء ويسر وعسر ورخاء وضيق وطمأنينة وقلق وعز وذل كل ذلك ونحوه تبع لتغيير ما بأنفسهم من معان وصفات.

وبالتالي يكون لانتشار الأخلاق الحسنة أثر كبير في إشاعة الأمن الشامل للخلق جميعاً، في حين إذا عمت رذائل الأخلاق عمّ معها القلق والاضطراب والخوف واللامن، لانعدام الرادع على ذلك؛ كما قال ﷺ: "...إِذَا لَمْ تَسْتَحْ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ" (89).

لذلك فقد أمر الإسلام بكل خلق رفيع ونهى عن كل خلق سيئ، وسأذكر أمثلة لأخلاق حسنة لها دور كبير في نشر الأمن والأمان بين المسلمين - على سبيل الذكر لا الحصر - لأنه حقيقة ما من خلق رفيع إلا وله أثره في نشر الأمن ولكن لصعوبة الإحاطة بها كلها سأقتصر على البعض منها مع بيان دورها في تحقيق الأمن للكيانات الخمس ويقاس عليها ما شاكلها، ومن هذه الأخلاق ما يلي:



## 1- الصدق:

تعريفه:

لغة: مادة الصدق في لغة العرب تدل على قوة الشيء سواء أكان الشيء قولاً أم غيره، وسمي الصدق القولي صدقاً لقوته في نفسه ولأن الكذب لا قوة له، والأصل في هذا قول العرب: رمح صدق أي صلب<sup>(90)</sup>.

شرعاً: فيعرف الصدق بأنه قول الحق وبأنه القول المطابق للواقع والحقيقة<sup>(91)</sup>، أو هو مطابقة القول الضمير والشيء المخبر عنه<sup>(92)</sup>.

## دور الصدق في تحقيق الأمن:

الصدق له أهمية كبيرة في الإسلام ويكفيه أنه أحد صفات الله تبارك وتعالى، كما أنه صفة الأنبياء والرسل وعلى رأسهم الصادق الأمين الذي شهد له الأعداء بذلك، وهو صفة الأخيار من عباد الله الصالحين الذين التزموا طاعة الله ورسوله، والكلام على فضائله يطول والمقصود هو آثاره ودوره في تحقيق الأمن؛ جاء في مدارج السالكين: "إن الصدق منه تنشأ جميع منازل السالكين والطريق الأقوم الذي من لم يسر عليه فهو من المنقطعين المالكين وبه تميز أهل النفاق من أهل الإيمان وسكان الجنان من أهل النيران وهو سيف الله في أرضه الذي ما وضع على شيء إلا قطعه ولا واجه باطلاً إلا أرداه وصرعه، من صال به لم تردّ صولته، ومن نطق به علت على الخصوم كلمته فهو روح الأعمال ومحك الأحوال والحامل على اقتحام الأهوال والباب الذي دخل به الواصلون إلى حضرة ذي الجلال، وهو أساس بناء الدين، وعمود فسطاطه اليقين، ودرجته تالية لدرجة النبوة التي هي أرفع درجات العالمين، ومن مساكنهم في الجنات تجري العيون والأنهار إلى مساكن الصديقين، كما كان من قلوبهم إلى قلوبهم في هذه الدار مدد متصل ومعين"<sup>(93)</sup>.



ذلك أنه كلما كان الإنسان صادقاً مع نفسه عرف حقيقة وجوده ومن ثم عرف ربه، فالصدق يهدي إلى الإيمان، ومن كان صادقاً خلقه الصدق فإنه لا يمكن أن يكون منافقاً لأن الكذب هو العماد الأول للنفاق، وهذا بدوره يحقق الأمن النفسي للصادق والخوف والاضطراب للكاذب يؤكد ذلك؛ قوله ﷺ: "دَعْ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيَّةٌ"<sup>(94)</sup>، لأن الصدق يشمل الأقوال والأفعال وهذا له تأثيره على علاقة الإنسان بربه وبإخوانه؛ قال ابن القيم: "والصدق ثلاثة: قول وعمل وحال. فالصدق في الأقوال: استواء اللسان على الأقوال كاستواء السنبلة على ساقها، والصدق في الأعمال: استواء الأفعال على الأمر والمتابعة، كاستواء الرأس على الجسد، والصدق في الأحوال: استواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص. واستفراغ الوسع وبذل الطاقة.... فأعلى مراتب الصدق مرتبة الصديقية وهي كمال الانقياد مع كمال الإخلاص للمرسل..."<sup>(95)</sup> فالترجمة الفعلية لخلق الصدق تشمل علاقة الإنسان بربه فيكون مؤمناً مصداقاً بأركان الإيمان منفذاً لواجباته من صلاة وزكاة، وتشمل علاقته بإخوانه فيكون معطاءً من ماله لذوي الحاجات من ذوي القربى واليتامى... متصفاً بالوفاء بالعهد والصبر في الفرح والحزن وعند الشدة، وبذلك يتحقق الأمن للدين لأنه آمن بربه والتزم بأوامره ويعم الأمن على النفس والمال وغيرها بسبب ما يؤدي إليه الصدق من تكافل اجتماعي وثقة متبادلة بسبب الوفاء بالعهد ورضا وطمأنينة بسبب خلق الصبر...

لذلك كان واجباً على المسلم الصدق في جميع الأحوال، ولم يستثن من ذلك إلا حالات خاصة يجوز فيها الكذب لحفظ الأمن، فالتاجر مطالب بالصدق، والشاهد مطالب بالصدق، والذي يريد الزواج عليه بالصدق فيأمن الناس على أموالهم وأعراضهم وحقوقهم، قال ﷺ: "الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا أَوْ قَالَ حَتَّى يَتَفَرَّقَا فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَّا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا"<sup>(96)</sup>، وقال للرجل الذي وجدته يغش في الطعام: "مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا"<sup>(97)</sup>، وفي الوقت نفسه شدد في تحريم



شهادة الزور والقذف واليمين الغموس لأنّ فيها كذب يؤدي إلى تهديد الأمن على المال والأعراض، أما الحالات التي يجوز فيها الكذب فالمتمنع فيها يجد أنّ المقصد منها هو تحقيق الأمن، قل ابن شهاب: " ولم أسمع يرخص في شيء مما يقول الناس كذب إلّا في ثلاث: الحرب والإصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها"<sup>(98)</sup>، لما في ذلك من تحقيق للأمن من الأعداء بعدم إخبارهم بحقيقة المسلمين لأنّ الحرب خدعة، والأمن بين المسلمين بتحسين العلاقات بينهم عن طريق الإصلاح بدل الخلاف والخصام الذي يؤدي إلى التناحر والتقاتل وغيرهما، ونشر الأمن داخل الأسرة بما يؤدي إلى المودة والوفاق بين الزوجين فتعم الطمأنينة والسكينة.

- 1- بدائع الصنائع، الكاساني، ج 9 ص 519.
- 2- الوثيقة المرافقة لمناهج العلوم الإسلامية، السنة الثانية من التعليم الثانوي، ص 49.
- 3- صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب "سؤال جبريل عن الإيمان والإسلام والإحسان"، ج 1 ص 19، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب "بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى"، ج 1 ص 36.
- 4- الأبعاد السياسية... مصطفى محمود منجود، ص 116.
- 5- مجموع الفتاوى، ج 7 ص 530.
- 6- لأبعاد السياسية... ص 116.
- 7- ميلاد مجتمع، دار الفكر، دمشق، سنة 1985 م، ص 69.
- 8- صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب "إثم الزنا"، ج 8 ص 164.
- 9- الموافقات في أصول الشريعة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ط. د. ت. ج 2 ص 7.
- 10- نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، ص 146.
- 11- صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب "بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الخياء وكونه من الإيمان"، ج 1 ص 63.
- 12- العقيدة الإسلامية وأسسها...، ص 31-32.
- 13- معالم الدولة الإسلامية، مكتبة الفلاح الكويت، ط 1 سنة (1403 هـ، 1983 م)، ص 164.
- 14- فقه السيرة النبوية، دار الفكر، سورية، دار الفكر، الجزائر، ط 11 سنة (1412 هـ، 1991 م)، (ص 120).
- 15- صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب "وجوب الزكاة"، ج 2 ص 105.
- 16- عقيدة المسلم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، د. ط. د. ت. ج 1 ص 100.
- 17- الحل الإسلامي فريضة وضرورة، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 3 سنة (1397 هـ، 1977 م)، ص 47.
- 18- أثر العقيدة في تحقيق الأمن النفسي، ص 28.
- 19- سنن النسائي الكبرى، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، كتاب عمل اليوم والليلة، باب "ما يقول إذا وافق ليلة القدر"، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1 سنة (1411 هـ، 1991 م)، ج 6 ص 219.
- 20- دعائم الأمن والسلام في الإسلام، الموقع : [http://www.fustat.com/hadarat/zhaili\\_3\\_4shim.html](http://www.fustat.com/hadarat/zhaili_3_4shim.html)
- 21- سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب "ما يقول إذا أصبح"، ج 4 ص 479، مسند أحمد، مسند عبد الله بن عمر، ج 2 ص 25.



- 22- الإيمان والحياة، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، د.ط، د.ت، ص 115-116.
- 23- سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب منه، ج 4 ص 667.
- 24- الفاتحة: 5.
- 25- صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله:
- ﴿فَأَنفِثْنَا نَبْتَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْفَكَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعَنَا﴾، ج 6 ص 66، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب "من فضائل أبي بكر الصديق"، ج 4 ص 1854.
- 26- البقرة: 112.
- 27- الرمر: 29.
- 28- جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط 1 سنة (1420 هـ، 2000م)، ج 21 ص 285.
- 29- الإيمان وحقيقة العبادة في الإسلام، صحيفة الدعوة الإسلامية، ط 2 سنة 1992م، ص 178.
- 30- نظم الأمن والعدالة في الإسلام، محمد الحسيني عبد العزيز، دار غريب، القاهرة سنة 2002م، ص 20.
- 31- إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت، ج 4 ص 162.
- 32- صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب "من أحب لقاء الله أحب لقاءه"، ج 8 ص 106، صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب "من أحب لقاء الله أحب لقاءه ومن كره لقاء الله كره لقاءه"، ج 4 ص 2065.
- 33- يوسف: 87.
- 34- مجموعة رسائل التوجيهات الإسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع، محمد بن جميل زينو، دار الصميعي، الرياض، د.ط، د.ت، م 2 ص 255-256.
- 35- مع الله في صفاته وأسمائه الحسنى، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، د.ط، د.ت، ص 30-29.
- 36- سنن ابن ماجه، كتاب الأدب، باب "فضل الخامدين"، ج 2 ص 1250.
- 37- صحيح مسلم، كتاب القدر، باب "في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله"، ج 4 ص 2052.
- 38- المصدر نفسه، كتاب القدر، باب "كيفية الخلق"، ج 4 ص 2036.
- 39- البعد النفسي والاجتماعي لعقيدة القضاء والقدر، نورة رجائي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، قسم العقيدة ومقارنة الأديان، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، الجزائر، سنة 2007م، ص 151-65.
- 40- صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب "المؤمن أمره كله خير"، ج 4 ص 2295.
- 41- أنظر قصص هؤلاء في: صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب "من اعترف على نفسه بالزنى"، ج 3 ص 1325.
- 42- صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب "إثم من خاصم في الباطل وهو يعلمه"، ج 3 ص 131، صحيح مسلم، كتاب الأفضية، باب "الحكم بالظاهر واللعن بالخفية"، ج 3 ص 1337.

- 43 - المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، يوسف حامد العالم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ط2 سنة (1415هـ-1994 م)، ص 47-48.
- 44-المائدة: 32 :
- 45-النساء: 93 :
- 46-المائدة: 27-30 :
- \*القرطبي هو :هو محمد بن احمد الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي، المالكي، من كبار المفسرين، له الجامع لأحكام القرآن، توفي سنة 671هـ. [شذرات الذهب، ج5 ص335].
- 47- الجامع لأحكام القرآن، ج6 ص142.
- 48 -أسس السلم الإنساني في العقيدة الإسلامية، برامة أحسن، مذكرة ماجستير غير منشورة، كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، قسم العقيدة ومقارنة الأديان، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، سنة 2003 م، ص119-120.
- 49 -فقه التصبر بالرعب في الإسلام، علي محمد حسنين حماد، مركز البحوث التربوية، كلية التربية، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ط1 سنة (1417هـ، 1996 م)، ص 34-40.
- 50-الموافقات، ج1 ص87.
- 51-المصدر نفسه، ج1 ص87.
- 52-الأنعام: 75 - 79 :
- 54 -نحو إنسانية سعيدة، دارالفكر، د.ط، د.ت، ص33-43.
- 55 -الأعراف: 143 :
- 55-الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت، ج2 ص 15، كثر العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة، د.ط، د.ت، ج29 ص153.
- 56 -صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب " ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه"، ج 9 ص 96، صحيح مسلم، كتاب الإيمان باب " بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله إن وجدها"، ج 1 ص 88، واللفظ لمسلم.
- 57 -تاريخ عمر بن الخطاب، ابن الجوزي، ص77.
- 58 -صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب "من ادعى إلى غير أبيه"، ج8 ص 156، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب " بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم"، ج 1 ص 80.
- 59-سنن أبي داود، كتاب الطلاق، باب "التغليظ في الانتقاء"، ج 2 ص 246، سنن النسائي الكبرى، كتاب الطلاق، باب "التغليظ في الانتقاء"، ج 3 ص 378.
- 60-يوسف: 23 :



- 61- صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب "إذا اشترى شيئاً لغيره بغير إذنه فرضي"، ج 3 ص 80، صحيح مسلم، كتاب الرقاق، باب "قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال"، ج 4 ص 2099.
- 62- اقتصادنا، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط 20 سنة (1408هـ، 1987م)، ص 294.
- 63- الكهف. 32-38 :
- 64- الكهف. 42 :
- 65- سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب "ما جاء في شأن الحساب والقصاص"، ج 4 ص 612، سنن الدارمي، باب "من كره الشهرة والمعرفة"، ج 1 ص 144.
- 66- التوبة. 34 - 35 :
- 67- البقرة. 278 - 279 :
- 68- المائدة. 2 :
- 69- أصول الدعوة، ص 244.
- 70- الأعراف. 96 :
- 71- النحل. 112 :
- 72- النور. 33 :
- 73- الحديد. 7 :
- 74- الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي، القاهرة، سنة (1387هـ، 1967م)، (ج 7 ص 238.
- 75- الكشف عن حقائق غوامض التزويل وعيون الأقاويل في وجوب التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط 3 سنة (1407هـ، 1987م)، ج 4 ص 473.
- 76- صحيح مسلم، كتاب "الزهد والرقائق"، باب منه، ج 4 ص 2273.
- 77- صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب "ما قدم من ماله فهو له"، ج 8 ص 93.
- 78- الهزلة. 9 - 1 :
- 79- الكهف. 46 :
- 80- نظرية التعسف في استعمال الحق في الفقه الإسلامي، فتحي الدريني، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار البشير، الأردن، ط 2 سنة 1419هـ-1998م)، ص 188 وما بعدها.
- 81- الأنعام. 82 :
- 82- سنن البيهقي الكبرى، كتاب الشهادات، باب "بيان مكارم الأخلاق"، ج 10 ص 191.
- 83- سنن الترمذي، كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب "حسن الخلق"، ج 4 ص 363، سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب "في حسن الخلق"، ج 4 ص 400.
- 84- مسند أحمد، مسند أبي ثعلبة الخشني، ج 4 ص 193.
- 85- سنن الترمذي، كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب "دعاء أم سلمة"، ج 5 ص 575.

